الفتح العربي الإسلامي

يمكن القول أن حملات الفتح للمغرب الإسلامي قد مرت بمرحلتين: حملات استطلاعية لم يستقر فيها الفاتحون بالمنطقة، وحملات جدية استقر فيها الفاتحون؛ وراقبوا ما أنجزوه عن كثب.

في عهد **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين، استطاع **عمر بن العاص**(من كتبة الوحي وأحد الحكمين) فتح مصر وذلك سنة 20هـ، وكان أول من فكر في فتح المغرب الإسلامي سنة 21هـ باعتباره امتدادا طبيعيا وجغرافيا لمصر، ولا شك أن القصد يتمثل في توسيع رقعة الإسلام من جهة؛ والقضاء على النفوذ البيزنطي من بهذه المنطقة من جهة ثانية، ومن ثم توجه إلى برقة فصالح أهلها مقابل دفع جزية سنوية مقدارها 13 ألف دينار، ثم تمكن من فتح طرابلس عنوة وقضى على الروم الذين كانوا متواجدين بها وغنم بما كان موجودا في المدينة، ثم فكر في اجتياح شمال إفريقيا فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " **إنا قد بلغنا طرابلس، وبينها وبين إفريقية تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل**"، فكتب إليه عمر:" **لا...إنها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت**". ومهما يكن من أمر فإن أول اتصال للمسلمين بحدود المغرب الإسلامي كانت سنة 21هـ.

وبتولي **عثمان بن عفان** رضي إلى عنه الخلافة الإسلامية عزل **عمر بن العاص**، وولى مكانه **عبد الله بن سعد بن أبي سرح** سنة 24هـ؛ فكتب إلى عثمان بن عفان يستأذنه في فتح شمال إفريقيا، فتردد عثمان هو الآخر ثم أذن له سنة 27هـ/647م؛ وأمده بجيش كبير قوامه 20 ألف من الجند(انضم إليه عقبة ومن معه لما وصل برقة)؛ يوجد فيه بعض أبناء الصحابة وهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، **عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عباس ، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الرحمن بن أبي بكر، عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر بن العاص**، ولهذا سميت الحملة ب**العبادلة**؛ كما وجد بين صفوف هذا الجيش عبد الرحمن بن الحكم وعدد كبير من بني أمية، وانتصر عبد الله بن سعد على قوات جرجير الحاكم البيزنطي على الشمال الإفريقي المتكونة من 120 ألف فارس من البيزنطيين والبربر؛ وقتل القائد جرجير في معركة "**سبيطلة**" على يد عبد الله بن الزبير بن العوام، وتحصل الجيش الإسلامي على غنائم كبيرة في هذه المعركة، ويذكر **ابن عذاري** (ج1، ص 12) أن المسلمين أصابوا فيها من السبي والأموال ما لا يحيط به الوصف، وكان أكثر أموالهم من الذهب والفضة. وقسمت الغنائم بين المقاتلين فكان سهم الفارس 03 آلاف دينار وسهم الراجل ألف دينار. وبدخول **سبيطلة** تفرقت صفوف العدو، وأسر المسلمون آلافا منهم، ليوجه ابن أبي سرح السرايا في مختلف الاتجاهات فسقط **قصر قفصة**، وفتحت **قرطاج** ولجأ من بها من الروم إلى الجبال، ثم طلبوا منه أن يتركهم لقاء 300 قنطار من الذهب كجزية سنوية؛ فقبل منهم ذلك، وعاد إلى مصر سنة 29هـ دون أن يترك حامية من المسلمين في المنطقة.

وبمقتل عثمان بن عفان عام 35هـ، واشتداد الخلاف بين المسلمين على منصب الخلافة، واصطدمت نار الحروب والفتن في مقدمتها الحربي بين **معاوية** و**علي بن أبي طالب**، انشغل المسلمون عموما على فتح المغرب مدة أكثر من 10 سنوات؛ إلى أن استقرت الأوضاع لمعاوية الذي أولى اهتماما بهذه القضية، حيث أوكل مهمة ذلك إلى **معاوية بن حديج الكندي** وقيل عنه أنه كان عثماني عام **45هـ**، خاصة وأن الظروف أصبحت ملائمة حيث أن أحد الشخصيات البارزة في الروم يدعى **حباحبة** قدم على معاوية في الشام؛ وأغراه بتجديد الحملة على منطقة المغرب، وأطلعه على أوضاعها السيئة وأبدى رغبته في التعاون مع المسلمين في

هذا المجال. لقد كانت الظروف ملائمة بعد مقتل علي سنة 40هـ وتسليم ابنه الحسن الأمر لمعاوية عام 41هـ، ومن هنا فإن حملة ابن حديج وافتها الفرص من عدة جوانب مع العلم أن هذا الأخير سبق له وأن شارك في التعرف على المنطقة، ومما يذكر في هذا المجال أن ابن حديج في حملته الأولى على المغرب نزل بجبل تونس حاليا فأصابه مطر شديد؛ فقال لمن معه " **هذا المكان ممطور فلنفارقه**" فبقي المكان يسمى **ماطر**، لقد كان جيش **معاوية بن حديج** 10 آلا فارس، وكان ضمن هذا الجيش خصيات معتبرة مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الله بن الزبير، عبد الملك بن مروان وغيرهم من أشراف قريش، وهؤلاء كلهم شاركوا في حملات سابقة، وبالتالي فابن حديج استصحب معه شخصيات بارزة لها وزنها وخبرتها ولها دراية بأوضاع المنطقة، ولم يقف الأمبراطور البيزنطي مكتوف الأيدي أمام هذه الحملة حيث جهز جيشا قوامه 30 ألف جندي بقيادة بطريق يقال له : **نقفور**، فاقترب من ساحل سوسة لكنه عندما رأى قوة المسلمين بقيادة **عبد الله بن الزبير**؛ انسحب دون قتال، واستولى المسلمون على سوسة وما جاورها، فوجه ابن حديج جيشا عظيما بقيادة عبد الملك بن مروان قوامه 1000 ألف فارس إلى جهات أخرى؛ واستولى عليها وسبى وغنم. وبعد هذا الانتصار تطلع ابن حديج لفتح **صقلية** حيث وجه جيشا في البحر بنحو 200 مركب؛ فدخلها المسلمون، وبقوا فيها مدة شهر ثم عادوا بالغنائم والأسلاب، وكان هذا الجيش بقيادة **عبد الله بن قيس**. ومن أخطائهم في صقلية عدم ترك حامية من الجيش لتأمين هذا الانتصار، وكانت هذه الحملة سنة 46هـ. وإزاء هذا الانتصار الساحق الذي حققه ابن حديج كافئه الخليفة معاوية حيث عينه على رأس ولاية مصر، وذلك بعد أن عزل واليها عبد الله بن عمرو بن العاص، وزيادة على ذلك فإن معاوية بن حديج كان من مؤيدي الدعوة إلى الاقتصاص من قتلة عثمان التي تزعمها معاوية بن أبي سفيان. ومن هنا أصبح ابن حديج والي مصر وإفريقية. وما هذه الحملات التي قام كل من عبد الله بن أبي سرح ومعاوية بن حديج إلا تمهيدا سمح للقادة المسلمين فيما بعد ومن بينهم عقبة بن نافع التعرف على إفريقيا، ومن ثم الفتح الأكبر للشمال الإفريقي.

وفي سنة **50هـ** عين معاوية بن أبي سفيان **عقبة بن نافع الفهري** واليا على إفريقيا-بعد عزل معاوية بن حديج عنها-؛ لما لهذا القائد تجربة كبيرة في الحروب التي خاضها المسلمون في إفريقيا، ودراية بأمورها وخبرته العميقة ومعرفته للمنطقة، بالإضافة إلى شجاعته وجهاده، حيث جهزه الخليفة بجيش قوامه 10 آلاف فارس فيه نحو ثمانية عشر شخصا من الصحابة والتابعي؛ في ظروف كانت فيها أوضاع الإمبراطورية البيزنطية الداخلية مضطربة بعد مقتل الإمبراطور قسطنطين الثاني؛ وقيام عدة ثورات ضد خلفه في بعض الأقاليم، ومن هنا فهو في شغل عن مقاومة المسلمين بإفريقية، ضف إلى هذا وضع المغرب السيء بعد مقتل جرجير، فاتجه عقبة بجيشة من مصر إلى برقة وانضم إلى جيشه من كان مرابطا ومن أسلم من البربر، فاختار النزول بالمكان الذي عسكر به ابن حديج من قبل؛ وأسس به مدينة القيروان بتونس لتكون قاعدة للمسلمين، واتخذها مقرا له ولجيشه، حيث قال لأصحابه:" **إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عز الإسلام إلى آخر الدهر" ابن عذاري، ج1، ص 19**. وقد روعي في اختيار المكان عدة جوانب؛ منها البعد عن البحر حتى تكون المدينة في مأمن من غارات البيزنطيين على حين غفلة، كما كان بعيدا عن الأوراس خاصة لتكون المدينة في مأمن من خطر البربر، كما كانت البيئة التي بنيت فيها كثيرة الشبة بالبيئة التي تعود عليها العرب في شبه الجزيرة العربية. وأول ما بنى عقبة دار الإمارة ثم المسجد، وأخذ الناس يتوسعون بعد ذلك في البناء. وأصبحت أول مقر بالمغرب الإسلامي، ومركزا هاما لمواصلة ما بقي من الفتح. وقد كان لعقبة برنامج لفتح بلاد المغرب إلا أنه عزل إما لخوف معاوية من استئثار عقبة واستقلاله بها، وقد يكون

عزله نتيجة سياسة العنف والقسوة التي سلكها مع البربر، ولعل هذا السبب هو الأقرب إلى الموضوعية بدليل أن خلفه أبو المهاجر سلك سياسة اللين مع البربر لكن في نفس الوقت أساء معاملة عقبة وكبله بالحديد وسجنه، فلعل ذلك إرضاء لشيوخ القبائل من البربر الذين أهانهم عقبة، وبقي سجينا حتى أمر معاوية بإطلاق سراحه سنة 55هـ.

ولما استدعي عقبة من طرف الخليفة، عين مكانه **مسلمة بن مخلد الأنصاري** على إفريقيا مكان معاوية بن حديج؛ وعزل بدوره **عقبة بن نافع** هو الآخر وكانت ولاية عليها أربعة أعوام، وعين مكانه **أبو المهاجر** دينار حاكما على الشمال الإفريقي سنة 55هـ(لأنه كان من المؤيدين للمطالبة بدم عثمان)؛ وكانت بينه وبين عقبة عداوة، فلم ينزل القيروان بل عمل على طمس آثاره وحرقها حسب ما ذكره البعض، وأمر ببناء مدينة أخرى بالقرب منها ونزلها بجيوشه، لقد استطاع أبو المهاجر أن يحقق نتائج معتبرة في مجال تمكين الإسلام بإفريقية؛ حيث تمكن من استمالة كثير من القبائل البربرية إلى الإسلام نتيجة سياسة اللين، كما وجه السرايا إلى مختلف المناطق التي لم يصلها الفتح، فأسلم الكثير من أهالي البربر؛ ومن بينهم القائد كسيلة بن لمزم الأوربي البرنسي أو البتري وقبيلته أوربة ؛والذي ساعده على فتح نواحي تلمسان، ومن هنا يكون أبو المهاجر أول من وصل إلى نواحي تلمسان من الفاتحين المسلمين.

وفي عهد الخليفة **يزيد بن معاوية** سنة 62هـ وبطلب منه أعيد **عقبة بن نافع** إلى حكم إفريقيا نظرا للدور الفعال الذي لعبه في فتحها، وكانت علاقته بأبي المهاجر سيئة جدا، فتوجه من عاصمة الخلافة دمشق على رأس جيش معتبر بينه 15 من الصحابة، وحينما قارب مصر استقبله واليها مسلمة بن مخلد خارجها واعتذر له عن تصرفات أبي المهاجر دينار الذي أساء عزله وتنكر لمجهوداته، فقبل عذره لكنه بقي حاقدا على أبي المهاجر فحينما وصل إفريقية انتقم منه وأوثقه بالحديد، وأمر بتخريب المدينة التي بناها، وأعاد الناس إلى مدينة القيروان التي جدد بناءها، وبعدما رتب أمورها وحصنها وعادت إلى نشاطها؛ استخلف عليها زهير بن قيس البلوي، واتجه بجيوشه يفتح المناطق الواحدة تلو الأخرى، ويقاتل كلا من بقايا الروم والبربر وهم نصارى ومجوس؛ حيث أخضع عدة مناطق كقرطاج والمنستير وسبى وغنم. وتمكن من اخضاع باغاي (التي يطل عليها جبل أوراس) بعد عناء ومشقة وسقوط عدد من الشهداء، ليواصل فتوحاته غربا حيث قصد الزاب وأخضع المسيلة، ثم اتجه إلى محاصرة تيهرت التي تحصن بها الروم والبربر في جموع غفيرة، ثم واصل زحفه على المغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى حتى وصل إلى سبتة وطنجة فأخضع من بها، وأخضع كلا من بالسوس الأقصى والأدنى. والملاحظ أنه أثناء زحفه بنى بعض المساجد كمسجد درعة ومسجد السوس الأقصى، كما بنى أيضا في الأماكن التي نزل بها مساجد إدراكا منه لأهميتها في ترسيخ مبادئ الإسلام في أوساط البربر وتفقيههم في الدين، وقد وصل بفتوحاته حتى المحيط الأطلسي؛ فدخل فيه بفرسه، ثم قال:" **يارب لولا أن البحر منعني لمضيت في البلاد مدافعا عن دينك مقاتلا من كفر بك" ابن عذاري، ج1، 26.** ثم قفل راجعا من حملته بعد أن حقق انتصارات عظيمة، وقد وجد أثناء عودته بدكالة(المغرب الأقصى" قوما فدعاهم إلى الإسلام فامتنعوا، وقاوموه مقاومة عنيفة؛ ما أدى إلى استشهاد عدد كبير من المسلمين؛ فسمي المكان بمقبرة الشهداء. وعندما وصل طبنة سمح لعدد كبير من جيشه بالعودة إلى القيروان، وبقي في فئة قليلة (حوالي 300 فارس)، وقد اتجه بعد ذلك إلى تهودة بالزاب الجزائري؛ ليتفقد أحوالها غير أن البربر والروم عندما رأوه في فئة قليلة حشدوا جموعهم بالتواطؤ مع كسيلة بن لمزم الذي كان يحقد عليه لأنه لم يعرف قيمته كشخصية بربرية لها وزنها ومكانتها، وكان أبو المهاجر دينار سلفه قد نصحه بمجاملته غير أنه لم يأخذ بهذه النصيحة، ومن كانت نهاية عقبة ومن معه المؤلمة سنة 64هـ بما في ذلك الأسير أبو المهاجر دينار،

حيث لم ينجو إلا القليل أصحابه، فأسروا وفداهم فيما بعد صاحب قفصة، ودخل كسيلة القيروان، واتخاذها مقرا لإقامته وعاصمة لمملكته، وبسط نفوذه على معظم القبائل وتحالف مع الروم، وأصبح الآمر الناهي خمس سنين إلى أن قتله زهير بن قيس البلوي سنة 69هـ. وبنكبته في تهودة حلت كارثة بالإسلام والمسلمين في بلاد المغرب.

لما تولى الخلافة **مروان بن الحكم** اختار **زهير بن قيس البلوي** الذي بقي مرابطا ببرقة مدة خمس سنوات؛ لإعادة الكرة وتجريد حملة على إفريقية؛ حيث جهزه تجهزا قويا بالمال والرجال، فاتجه سنة 69هـ ولما وصل إلى مشارف مدينة القيروان لاقاه كسيلة بجموعه ، حيث التقى الجمعان بمكان يسمى ممس وتم النصر لزهير وقتل كسيلة وكثير من جنده، ثم عاد إلى القيروان فأصلح أمورها وأقر فيها الأمن والنظام، لكنه لم يبق بها وعاد إلى برقة لعلمه بتجمع الروم في ساحلها، ومن ثم خشيته أن يقطعوا أمامه خط الرجعة، وهناك من يعلل عودته إلى برقة لكونه من أكبر الزاهدين العابدين. ومهما يكن فإن نهايته كنهاية عقبة، حيث لقي نفس المصير عندما التحم بجموع الروم الذين نزلوا ساحل برقة، وأخذوا يقاتلون المسلمين ويأسرونهم، فأراد أن ينجدهم ويخلصهم من الروم فاستشهد في فئة كثيرة من أصحابه سنة 69هـ، وقبره موجود إلى الآن في مدينة درنة، فحلت بالمسلمين مصيبة أخرى إلى أن تولى حسان بن النعمان سنة 78هـ.

وفي سنة 73هـ عين **حسان بن النعمان** (من أحفاد الغساسنة ملوك الشام) حاكما على إفريقيا من قبل الخليفة **عبد الملك بن مروان** بعد أن أخمد الفتن الداخلية وأعاد للخلافة هيبتها، فأمده بجيش كبير قوامه أربعين ألف فارس، فزحف به على قرطاجة وحاصرها ثم استولى عليها عام 78هـ/667م، وقضى البيزنطيين الذين كانوا متواجدين بها، وفر الكثير منها إلى صقلية وسردينيا ومناطق أخرى كباجة وبنزرت وعنابة، وأخضع مدنا داخلية. ثم اشتبك مع جيش الكاهنة واسمها الحقيقي دهيا الذي كان متواجدا **بالأوراس** فهزمته بوادي مسكيانة الذي يسمى أيضا بوادي العذارى، وقد أسرت الكاهنة من جنوده ثمانين فارسا من بينهم خالد بن يزيد الذي تبنته، وأعادت الكاهنة الأسرى إلى حسان وملكت إفريقية كاملة والمغرب مدة خمس سنوات، أما حسان بن النعمان فاضطر إلى التراجع نحو مدينة برقة ينتظر المدد الذي دام ثلاث سنوات، وخلال تلك المدة سلكت الكاهنة سياسة الهدم والتخريب حيث عملت على تحطيم القرى وإتلاف المحاصيل الزراعية وقطع الأشجار وحرق الغابات لكي لا يعود إليها الفاتحون توهما منها بأن العرب جاءوا للشمال الإفريقي كغيرهم ممن سبقوهم للاستيطان واستغلال المنطقة ماديا، فزاد هذا العمل من استياء البربر ضدها وكان سببا في انهزامها حيث تصدعت الجبهة الداخلية؛ وكره السكان سياستها وتمنوا زوالها ولجأ البعض من السكان إلى الخارج، إذ أصبح البربر يمدون يد المساعدة لحسان ويستجلونه في الانقضاض عليها. وكانت عيون المسلمين تراقب الأوضاع الداخلية، وفي مقدمة هؤلاء العيون خالد بن يزيد الذي تبنته؛ أخبر حسانا بالأوضاع السيئة داخليا حيث قال له:" إن البربر متفرقون لا نظام لهم ولا رأي عندهم فاطو المراحل وجد في السير" وعندما تأكد حسان من ضعف الأوضاع وتذمر السكان تأكد من النجاح، ولما وصلت الإمدادات من الشرق اتجه إليها حسان وقتلها بجبال الأوراس في المكان الذي سمته المصادر "**بئر الكاهنة**"سنة **82هـ/701م**، وبذلك دانت له البلاد. وأمنهم حسان على الإسلام وفي الدعوة إليه؛ وأصبح ولدي الكاهنة (وكان أحدهما من أب يوناني والآخر من أب بربري) من أكبر دعاة الإسلام في المنطقة فأصلحوا ما أفسدته الكاهنة، حيث قدم حسانا على كل ستة آلاف من البربر ولدا من ابني الكاهنة، واستصحبهم معه وأرسلهم إلى مختلف النواحي، وفي هذا ما يدل على الحنكة السياسية العسكرية حيث ألف

قلوب البربر. واتسم عهد حسان بن النعمان في المنطقة بالرخاء والاستقرار والعمران وتنظيم الشؤون الإدارية والمالية والعسكرية. ويمكن حصر منجزاته فيما يلي:

* نلاحظ أنه أول من دون الدواوين الإدارية في المنطقة على غرار دواوين الخلافة في المشرق.

* قام بمسح الأراضي وحصرها، وقسمها بين القبائل، وفرض الخراج على بعض الأراضي، كما وزع بعض الأراضي على أهلها القدامى التي افتكها منهم البيزنطيون.

* أبطل نظام الإقطاع، وعبد الطرقات ومهدها، وأقر الأمن، وشيد المحارس والرباطات على المناطق الساحلية.

* شجع الناس على إعادة تعمير المنطقة، وإصلاح ما أفسدته سياسة الكاهنة.

* بنى المساجد مثل جامع الزيتونة الذي كان في الأصل ديرا من الأديرة، كما وسع في مسجد عقبة بن نافع بالقيروان.

* انشأ دارا لصناعة السفن كي يكون للمسلمين أسطول بحري، واستعان في هذا الجانب بخبرة ألف عائلة قبطية من مصر.

* حفر قناة بحرية بين رادس وقرطاج، وبنى السدود.

* سك نقودا إسلامية في المنطقة؛ حيث أزال شعار الصليب الذي كان عليها؛ وجعل عليها شعارا لا يتنافى وروح الإسلام.

* بنى مدينة تونس؛ وأنشأ بها جامع الزيتونة كما ذكرنا؛ والذي وسعه فيما بعد الوالي عبيد الله بن الحبحاب سنة 114هـ.

* كانت بالمنطقة كنيستان إحداهما على المذهب الكاثوليكي وكانت تابعة لروما، والأخرى على المذهب الأرثودكسي وكانت تابعة للقسطنطنية؛ فجمع رجال الدين فيهما وأمرهم بإتباع كنيسة الإسكندرية التي فيها كلا المذهبين. وعليه يمكن القول أن فتح المغرب الحقيقي إنما تم في عهد حسان بن النعمان، وإن بقيت جيوب بسيطة من المقاومة أكملها فيما بعد خلفه موسى بن نصير.

ولما عزل **حسان بن النعمان** خلفه في حكم إفريقيا **موسى بن نصير** سنة 85هـ، ولم يجد هذا الحاكم أي صعوبة في بلاد الشمال الإفريقي لأن الطريق مهد له من سبقه، حيث شرع في تصفية جيوب المقاومة؛ متبعا سياسة اللين مع قبيلة كتامة التي عرف قيمتها وولى عليها رجالا من أهلها، ولما وصل إلى المغرب الأقصى عين طارق بن زياد حاكما على **طنجة** التي ترك بها جيشا قويا يتكون من 17 ألف من العرب و12 ألف من البربر، ثم تطلع إلى توسيع رقعة الإسلام؛ ففكر موسى في فتح الأندلس يايعاز من **الكونت جوليان** البيزنطي حاكم سبتة المواجه لجنوبي جزيرة الأندلس والذي كانت له عداوة مع ملك إسبانيا لذريق الذي اعتدى على ابنته **فلورندة** التي كانت تتربى في قصره، وعموما إذا كانت إسبانيا تعيش حالة تمزق جراء الصراعات السياسية بين أمرائها من أجل الحكم، مما شجع موسى بن نصير على فتحها، حيث أرسل حملة استطلاعية بقيادة طريف بن زرعة نزلت بالجزيرة التي سميت باسمه حتى الآن؛ وجعلها قاعدة لأعماله العسكرية كما أن الجبل الذي نزل به طارق أثناء العبور سمي باسمه أيضا حتى اليوم. وعموما كانت الأوضاع الداخلية سيئة؛ فأمر طارق بن زياد بغزو الأندلس بعد استشارة الخليفة الأموي، فجمع جيشا كبيرا متكونا من البربر والعرب قوامه 12 ألفا عبر به البحر، وانتصر على جيش الملك **لذريق Rodrigues** الذي قتل معركة **واد لكة** (وتعرف أيضا بمعركة **واد الطين** ، **شذونة**) في رمضان سنة 92هـ/ جويلية 711م التي دامت ثمانية أيام موقعة ، ثم استولى على قرطبة وطليطلة ومالقا واشبيلية

ثم لحقه من بعد موسى بن نصير وأكمل فتح باقي المدن الأندلسية حتى وصل غلى جبال البيريني، وتحصل المسلمون خلال غزوهم على العديد من الغنائم من بينها مائدة سيليمان والتي قدرت قيمتها في دمشق بمائة ألف دينار، ثم استدعى الخليفة الأموي موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق، ودام حكم المسلمين في هذه المنطقة ثمانية قرون عرفت بالعصر الذهبي وصلت خلالها الحضارة العربية الإسلامية إلى قمة مجدها ولا سيما في المجالين العلمي والمعماري، بينما كانت أوربا آنذاك تعيش الجهل في ظل النظام الإقطاعي الرجعي المستبد. وبذلك توسعت رقعة الإسلام في الجنوب الغربي من أوربا.

عهد الولاة (85-184م):

إن الفترة الممتدة فيما بين 85—184هـ عرفت بعهد الولاة في المغرب الإسلامي لأن ولاية هذه المنطقة لم تبق تابعة لولاية مصر حيث أصبح واليها يعين من طرف الخليفة الأموي أو العباس، وأصبحت بلاد الأندلس تابعة لها، ولكن بعدما استقر الفتح في هذه الأخيرة أصبحت أيضا ولاية مستقلة بذاتها، وصار واليها يعين من قبل الخليفة الأموي أو العباسي. لقد تداول على المغرب الإسلامي نحو عشرين واليا، اختلفت تصرفاتهم وسياستهم من وال إلى آخر بين العدل والاستقامة؛ والجور والاستبداد، الأمر الذي أدى إلى رد فعل عنيف ضد سياسة الظلم والإجحاف في حق السكان من طرف بعض الولاة.

وبما أن المغرب الإسلامي منطقة نائية عن مركز الخلافة الإسلامية فإن المعارضين لهذه الخلافة؛ فضلوا اللجوء إلى الأماكن البعيدة هروبا من ملاحقة الخلافة لهم، ومن هذه المناطق المغرب الإسلامي الذي كان وجهة نظر لكل من الخوارج من صفرية وإباضية والشيعة من زيدية وإسماعيلي، حيث نشر هؤلاء المعارضون مذاهبهم بين السكان وتمكنوا من إنشاء كيانات سياسية على مذاهب مختلفة. لا شك أن المعارضين للخلافة الإسلامية قصدوا المغرب لاعتبارات متعددة؛ يمكن حصرها كما يلي:

* أنه منطقة بعيدة عن مركز الخلافة كما ذكرنا آنفا، كما أنه بعيد من جهة أخرى عن ولاية مصر حيث يصعب إيصال المدد في وقت قصير.

* أنه منطقة توجد به تضاريس وعرة من شأنها أن توفر الحماية الطبيعية للمعارضين عند الضرورة.

* لقد عرف سكانه بشدة مراسهم، وقوة صلابتهم وصبرهم في الحروب.

* تتوفر به إمكانات اقتصادية يمكن الاعتماد عليها في تمويل المعارضة، وتكوين إمارات أو كيانات مذهبية.

* لقد انتهز المعارضون السياسيون سوء سلوك بعض الولاة واحجافهم بالرعية، الأمر الذي جعل السكان يلتفون حول زعماء المعارضة من خوارج صفرية وإباضية، أو شيعة زيدية أو اسماعيلية، وبالتالي ظهرت بوادر التمرد على سلطة الخلافة الإسلامية منذ نهاية العقد الثاني من القرن الثاني الهجري (ق. 02هـ).

وعندما استدعي موسى بن نصير إلى الشرق عام 96هـ، توالى العديد من الولاة على الشمال الإفريقي وكانوا يتمتعون بنفوذ كبير في ولايتهم، ولو أن ارادتهم لشؤون المغرب العربي لم تختلف عن الأساليب التي استعملها الأمويون في بقية أجزاء العالم الإسلامي، فقد ارتكبوا أخطاء فادحة كانت لها نتائج خطيرة في حياة المغرب، فشهد عهدهم اضطرابات وفتن قادها الخوارج بالمغرب؛ ولو أن دعوة الخوارج اتخذت طابعا دينيا إلا أنها في الحقيقة مقاومة باسمه ضد السياسة الاقتصادية والاجتماعية الأموية، ولم يسترجع الاستقرار

والهدوء إلا بمجيء الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز؛ واعتمد في دعوته لنشر الإسلام على الطرق السلمية بالإقناع والحجة وحسن السيرة وتطبيق مبادئ الإسلام، فقام بعزل محمد بن يزيد القرشي وعين مكانه اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر حاكما على إفريقيا سنة 100هـ؛ فكان حسن السيرة، وأرسل له عشرة فقهاء يفقهون أهل الشمال الإفريقي في أمور الدين؛ فأسلم البربر جميعهم في أيامه وفي عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك عين تلميذ الحجاج بن يوسف؛ يزيد بن أبي مسلم حاكما على إفريقيا سنة 101هـ فحاول تطبيق السياسة التي اتبعها معلمه في العراق، فأساء معاملة البربر ففرض عليهم الجزية مع أنهم مسلمون، فثاروا عليه وقتلوه سنة 102هـ؛ دون خلع طاعة الخليفة الأموي، ثم ولي بشر بن صفوان، وعند وفاته خلفه عبيدة بن عبد الرحمن.

ومن أشهر الولاة في هذه الفترة: **عبيد اله بن الحبحاب** الذي عينه هشام بن عبد الملك سنة 116هـ واليا على الشمال الإفريقي ، فولى عمر بن عبد الله المرادي حاكما على طنجة فأساء السيرة وتعامل مع البربر بمنتهى القسوة، فكان عمله سببا في وقوع الفتن؛ فظهرت في عهده أول ثورة في إقليم طنجة سنة 122هـ تحت قيادة **ميسرة المطغري** وقتلوه، ثم خلف **عبد الأعلى بن حديج** واليا على طنجة ثم قتلوه، ثم بايعوا ميسرة ولم يحسن السيرة في البربر، فثاروا عليه وقتلوه، وولوا عليهم خالد بن حميد الزناتي، وتفاقمت الاضطرابات في تلك الفترة؛ فبعث إليهم ابن الحبحاب جيشا كبيرا بقيادة خالد بن حبيب الفهري واشتبك معهم في طنجة، وقتل خالد الفهري مع مجموعة من أصحابه، ولما سمع هشام بن عبد الملك بهذه الحادثة عزل الحبحاب عن ولاية إفريقيا عام 123هـ، وحل محله **كلثوم بن عياض** الذي ظهرت عهده في عهده قبيلة **برغواطة**، وزحفت جيوش كلثوم على طنجة وجابهت البربر بقيادة خالد الزناتي، فانهزم العرب والتجأوا إلى سبتة، وعندما بلغ خبر الهزيمة الخليفة هشام أرسل امدادات بقيادة حنظلة بن صفوان سنة 124هـ، وتمكن هذا الأخير من القضاء على ثورة عكاشة بن أيوب الفزاي الخارجي. ولما اضطر حنظلة مغادرة الشمال الإفريقي سنة 127هـ، وعاد **عبد الرحمن بن حبيب الفهري** من الأندلس فولاه مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين في مكانه، فاستبد بالحكم ولم يستطع إخضاع البربر، واستمرت في عهده الفوضى ثم في عهد أسرته. وعلى عهده ظهرت إمارة **بني مدرار** في إقليم تافيلالت في المغرب حاليا سنة 140هـ. وفي عهد الخلافة العباسية استمرت الثورات في الشمال الإفريقي بين الجيوش العربية والخوارج، وتمكن أبو الخطاب عبد الأعلى من هزم جيوش العباسيين واستولى على القيروان، وعين **عبد الرحمن بن رستم الفارسي** الإباضي حاكما عليها، ثم عاد إلى طرابلس، وفي سنة 144هـ شن القائد **محمد بن الأشعث** حملة من مصر بأربعين ألف فارس زحف بها إلى إفريقيا، وتمكن من قتل أبو الخطاب ثم وصل إلى تونس، واستولى على القيروان، فغادرها ابن رستم توجه إلى تيهرت بالجزائر، وتعاقب من بعد **محمد الأشعث** العديد من الولاة على المغرب الإسلامي أمثال **الأغلب بن سالم التميمي** و**عمر بن حفص** و**يزيد بن حاتم المهلبي** الذي ظهرت في عهده إمارة **بني رستم** بتيهرت في المغرب الأوسط سنة 160هـ التي لعبت دورا في تاريخ الشمال الإفريقي، و**داود بن يزيد** الذي ظهرت في عهده بني إدريس سنة 172هـ، و**إبراهيم بن الأغلب** الذي أقطعه **هارون الرشيد** ولاية المغرب سنة 184هـ وجعلها وراثية في عائلته، وبالتالي لم يعد للخليفة العباسي أي سلطة على ووالي المغرب ما عدا العلاقة الروحية. وتدريجيا ظهرت ر دويلات منفصلة عن الخلافة العباسية بالمغرب أمثال الدولة **الإدريسية** بالمغرب الأقصى والدولة **الأموية** بالأندلس.

ويقول **ابن خلدون** في كتابه "**العبر**" :" **بأن اعتناق البربر للإسلام لم يتم كلية إلا في سنة 101هـ، وأثناء غزو العرب للشمال الإفريقي من لم يكن منهم يعتنق النصرانية أو اليهودية كان يعبد الشمس والقمر والأصنام**".